الطير السحري

حكايات شعبية

المسح الضوئي
(زمن الكومكس)Z.M

المسح الضوئي

Zaidmajid

(زمن الكومكس)

2016

دار ثقافة الأطفال
مكتبة الطفل
حكايات شعبية

الطير السحري

إعداد : خضير عبد الأمير
رسوم : انطلاق محمد علي
الإخراج الفني : خالدة نسيم

انطلاق محمد علي ..

كان في بغداد رجل غني يحب ابنته الجميلة ، وكان لتلك الابنة ، الى جانب جمالها ، شعر اسود كثيف الخصلات منسدل على كتفها .

ومثل اعتزاز الفتاة بشعرها وجمالها ، كان اعتزازها بحليها النادرة وأحجارها الكريمة وضفائرها الذهبية .

وقد وفر لها والدها كل ما تحتاجه من أشياء تدخل في تكوين حياتها اليومية ، ويرضي نفسها .

وفي يوم جميل جلست الفتاة تحت شمس الغروب ، تمشط شعرها وتهدله سبائك سوداء كالليل فوق سطح الدار ، وقد نزعت حليها وضفائر شعرها الذهبية ، وجمعتها أمامها في صرة من القماش وردية كانت قربها ، ولم تشعر إلا وأحد الطيور التي كانت تحوم في أشعة الشمس الغاربة ينقض مسرعاً ويهبط قربها ، ثم يحمل صرة الحلي الذهبية ، بمخالبه ويصعد عالياً ، ثم يختفي في جهة الغروب المائلة الى السمرة .

بقيت الفتاة مدهوشة حائرة ومرتعبة لاتعرف ماذا تقول ، وحينما صعدت اليها مربيتها ، ورأتها على حالتها تلك ، دهشت من حزنها وحينما سألتها وألحت عليها في السؤال ، حكت لها عن الحادث الذي حصل وهي مستغربة تكاد تبكي .

فكرت المربية قليلاً ، ثم طلبت منها أن تكتم الأمر عن والدها ، وأن تخلو الى نفسها مدة وتدعي بأنها مريضة .

كان الهم والألم النفسي يسببان لها مرضاً حقيقياً .

بقيت الفتاة عدة أيام تفكر بنفسها ومصوغاتها الذهبية ، وبأمر هذا الطير ، ثم بماذا تخبر والدها إن سألها عنها يوماً ما ، وبعد وقت اهتدت مربيتها الى حل ينسيها هذه الحادثة وهو الاختلاط بالناس والاستماع لحكاياتهم وقصصهم لكي يهون عليها همها وتنسى الحادثة تماماً .

وهذا لا يتم الا ببناء حمام عام للنساء ، والاستحمام فيه مجاناً شرط أن تسرد على مسامع الفتاة ، حكاية غريبة حصلت لهن .

وافقت الفتاة على هذا الأمر .

وقالت : ـ

ـ سأتسلى بسماع القصص والحكايات ، وربما سأصل الى نتيجة ما ، أو سأستمع لحكايات أغرب من حكايتي ، حصلت لأناس آخرين .

قالت لها مربيتها:
ستنسين حادثة الطير، والمصوغات بالاستماع لحكايات أغرب وأعذب يا أبنتي.

عرضت الفتاة أمرها على والدها الغني الذي كان يشتغل بالتجارة فوافق واشترى لها حماماً، ثم أدخل عليه يد العامل الماهر فحولته الى حمام جديد.

جلست الفتاة على دكته العالية، تستمع لحكايات النساء والفتيات والعجائز، وتتسلى بالبعض، ثم تضجر من البعض الآخر، حتى أصابها شيء من ملل من تكرار هذه الحكايات، ثم أن جميع الحكايات لم تبعد عنها فكرة الطير، وحكاية سرقته لمصوغاتها من أمامها، وقت غروب الشمس.

كانت أمرأة عجوز تسكن بيتاً متواضعاً مع بناتها الثلاث في منطقة من مناطق بغداد القديمة وكن جميعهن يعشن من غزل الصوف، وتحويله الى خيوط من أجل حياكته ثم بيعه في سوق الغزل من قبل الام..

وفي ذات يوم قالت العجوز لبناتها:

ـ إسمعن يابنات، أريد أن أذهب لحمام ابنة التاجر، واحكي لها حكـايتي التي تعـرفنهـا جيداً، وهي حكاية حقيقية، وقد حدثت لي وأحب أن تسمعها هذه الفتاة الباحثة عن الحكايات.

وفي الـوقت الـذي أجلس فيه قربها لأحكي لها، تكن جميعاً في داخل الحمام.

لقد مر شتاء طويل عليكن ولم تذهبن الى حمام السوق.

وفي اليوم التالي دخلن الحمام، وكن أربع نساء، الأم وبناتها الثلاث.

عرضت العجـوز على ابنـة التـاجر، أن تحكي لها حكاية غريبة بينما فتياتها يغتسلن.

وافقت الفتاة وقالت:

ـ لقد ضجرت من سماع الحكايات أيتها الأم اذهبي واغتسلي مع بناتك.

قالت العجوز:

ـ حكـايتي حادثـة حقيقيـة حصلت لي، ووقعت هنـا في بغداد، ومنذ أشهر قليلة..

أحست الفتاة بشيء من الشوق وقالت للعجوز:

ـ تفضلي، احكي فأنا مستمعة إليك.

قالت العجوز بعد أن اعتدلت في جلستها:

أنـا امـرأة أحـول الصـوف الى خيـوط بوسـاطة مغزلي اليدوي، وحينما تصبح الخيوط كثيرة آخذها الى السوق في الصباح الباكر..

وفي ذات يوم استيقظت بعد منتصف الليل بقليل وكان القمر متكاملاً وضوؤه قد انتشر في كل مكان، فحسبت الوقت فجراً.

أخذت الخيوط وخرجت الى الطريق.

وفي الطريق لم أصادف أحداً مثل كل مرة. كانت الطرقات كلها خالية من المارة القلائل الذين يعمدون الى أشغالهم عند الفجر، وحين وصلت سوق الغزل، لم أشاهد أحداً، ولم أر أي دكان مفتوح.

كان السوق موحشاً وغارقاً في الصمت. عندها عرفت أن الوقت ليل، ولم يكن الفجر قد طلع بعد فقررت الجلوس في زاوية وانتظار الفجر بدلاً من الرجوع الى البيت والعودة الى السوق ثانية.

وللحظات رأيت في ذلك السوق، ديكاً كبير الحجم يحمل على ظهره قربة ماء، وخلفه برغوث يحمل عصا ويسوق الديك، إقتربا من جدار عال فانفتح ودخلا، وقبل أن يغلق الحائط نفسه دخلت خلفهما.

وإذا بي في باحة بيت كبيرة مساحته واسعة، وتحيط الغرف بتلك المساحة من كل جانب، رأيت كل شيء يدار ويعمل من تلقاء نفسه، رأيت القدور على النار وهي ممتلئة بالطعام ولا أحد يذكي النار أو يرفع أغطية القدور رأيت الخبز يخرج من التنور حاراً شهياً بلونه وحرارته ولا احد يقف على التنور أو يضع العجين بداخله.

رأيت أشياء عديدة، تدار في ذلك البيت، ولا أحد يديرها، وشيئاً فشيئاً هدأت نفسي، وأحسست بالراحة بعد الاضطراب، والأمن بعد الخوف..

فمـددت يدي الى رغيف من الخبـز، لأنني أحسست بالجـوع، وإذا بصوت يرتفع قائلاً :

ـ يامحـراث التنـور اضـربها على يدها . سيدنا الصغير لا يريدها .

جاءتني ضربـة على يدي من محراث التنور فتراجعت الى الوراء ودخلت

المطبخ ، ثم اقتربت من أحد القدور وحاولت رفع غطائه، وإذا بصوت يقول :

ـ ياملعقة أضـربيها على يدها . .

فسيدنا الصغير لا يريدها .

ورأيت ملعقـة القـدر ترتفـع وتلطم يدي ، فتراجعت خائفة

• وكمنت عند حوض البئر، انتظر أن يخرج الديك والبرغوث لأخرج خلفهما. ولكني دهشت عندما رأيت مجموعة من الطيور، تحوم في سماء الحوش، ثم تنزل الى باحته ثم تبدأ بخلع لباس الريش.

لقد امتلأ البيت بمجموعة من الشباب، وكل منهم ابتعد ودخل غرفته إلا واحد منهم وكان أصغرهم، فقد جاء بصرة قماش، ففتحها فرأيت بداخلها مجموعة من الحلي.. قلبها بيده.. كان الشاب حزيناً وهو يقلب قطع المصوغات ويردد:

أيتها الأشجار، أيتها الاطيار
ابكوا على ذات الضفائر والسوار.

تصاعد صوت بكاء ونحيب، كانه صادر فعلاً من أشجار الحديقة في داخل الحوش، ومن عصافير وطيور كانت تقف فوق أغصان الأشجار.. وكان الشاب يبكي هو أيضاً.

وفي تلك الدقائق انفتح الجدار، وخرج منه الديك وعلى ظهره قربة الماء فارغة، يسوقه البرغوث فخرجت وراءهما وتركت البيت وأصوات البكاء عالية فيه.

وعندما رجعت الى البيت ومعي خيوط الصوف، رأيت بناتي في حالة من القلق والخوف، لغيابي عنهن وخروجي في ذلك الليل لم تتم العجوز كلامها، إذ قفزت قربها أبنة التاجر، وأمسكتها مندفعة بحرارة، وطلبت منها أن تأخذها الى ذلك المكان وقالت: أرجوك يا خالتي خذيني لذلك البيت، هذا هو السر فباستماعي للحكايات وسأمنحك مالاً، يغنيك مدى عمرك.

في اليوم التالي وفي منتصف الليل كانت العجوز والفتاة في ذلك السوق الموحش، جالستين تنتظران حذرتين ولم يمض وقت حتى دخل السوق ديك يحمل على ظهره قربة ماء، وخلفه البرغوث يسوقه بعصا يحملها، وحينما اقتربا من الجدار انفتح أمامهما ودخلا فقامت المرأتان، العجوز والفتاة بسرعة ودخلتا في فتحة الجدار، فصارتا في ذلك البيت، فرأتا كل شيء على حاله.. الخبز في التنور، والقدور على النار والبيت نظيف ومرتب فيه كل شيء.

أرادت الفتاة أن تخوض التجربة بنفسها، فمدت يدها لرغيف الخبز فجاء الصوت محذراً ومنادياً:

يامحراث.. أضربها على يدها.. سيدنا الصغير لا يريدها.

رد المحراث :

كيف أضربها على يدها ، وسيدنا الصغير يريدها؟

أخذت رغيفاً من الخبز، وعادت مع العجوز الى المطبخ .

فحاولت ان تتناول صحناً ومغرفة ، فأرتفع الصوت :

ياملعقة ، أضربيها على يدها سيدنا الصغير لا يريدها

ردت الملعقة :

كيف أضربها على يدها ، وسيدنا الصغير يريدها؟

أخذت شيئاً من الطعام فأكلت هي والعجوز. بعدها هبطت الى باحة البيت .

وبعد ان خلع كل طير ريشه ، وانتفض شاباً كان الشاب الصغير ، يجلس وحيداً كعادته ، مثل كل يوم ، وهو يفتح صرة الحلي ويقلب محتوياتها ثم يردد :

أيتها الأشجار، أيها الأطيار..
ابكوا على ذات الضفائر والسوار لم يرتفع البكاء، بل تصاعدت عدة ضحكات بدله. وحينما أعاد كلامه مرة ثانية، جاءته نفس الضحكات. صمت الشاب لحظة، وقام من مكانه يفتش في الأماكن القريبة منه، فوجد الفتاة مع العجوز.. نظر اليها مندهشاً فبادرته:

ـ لماذا سرقت صرة الحلي، وتركتني في حيرة وحزن؟

رد عليها الفتى:

ـ لم أجد غير هذه الطريقة لكي تعرفيني جيداً وعلى حقيقتي.

قالت الفتاة:

ـ لا.. أنا لا أعرفك الآن، وأنت بين هذه الأشياء الغريبة وأمامها، أين أنا؟ وأين أنت؟

وأين يقع هذا البيت؟ وما هذه الأشياء التي لا يصدقها عقل إنسان والتي تحدث لك ؟!

قال الشاب :

ـ سأعود اليك انساناً جديداً، وسأترك هؤلاء، وسأتقدم لك ولأهلك لأخطبك زوجة لي، ما رأيك؟

أشارت لها العجوز ان توافق

ابتسمت الفتاة وقالت :

ـ شرط أن تظهر أمام الناس ، إنساناً متكاملاً سوياً، وان تعمل بيديك لتعيلني.

ابتسم الشاب وقال :

ـ موافق.

ومنذ ذلك اليوم نسي الشاب كل شيء عدا إنه انسان بين اناس يعملون.

Ministry of Cultur and Informition - Children's House
P.O. Box: 14176 / 8041
Tel: 5383171 / 5383181
TLX: 2606
THAKAFA - IK
BAGHDAD - IRAQ

الجمهورية العراقية - بغداد - وزارة الثقافة والاعلام - دار ثقافة الاطفال
الصالحية - مكتب بريد (٨) شباط
ص : ب ١٤١٧٦ / ٨٠٤١
هاتف : ٥٣٨٣١٨١/٥٣٨٣١٧١
تلكس : ٢٦٠٦ ثقافة / العراق

المدير العام رئيس مجلس الادارة : فاروق سلوم
سكرتير التحرير : شفيق مهدي

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد-٩٠٤-١٠٠-لعام ١٩٨٦
توزيع الدار الوطنية للتوزيع والاعلان
ثمن النسخة خارج العراق ٣٥٠ فلساً

مطابع ثنيان بغداد (٤١٦٣١٥٣)

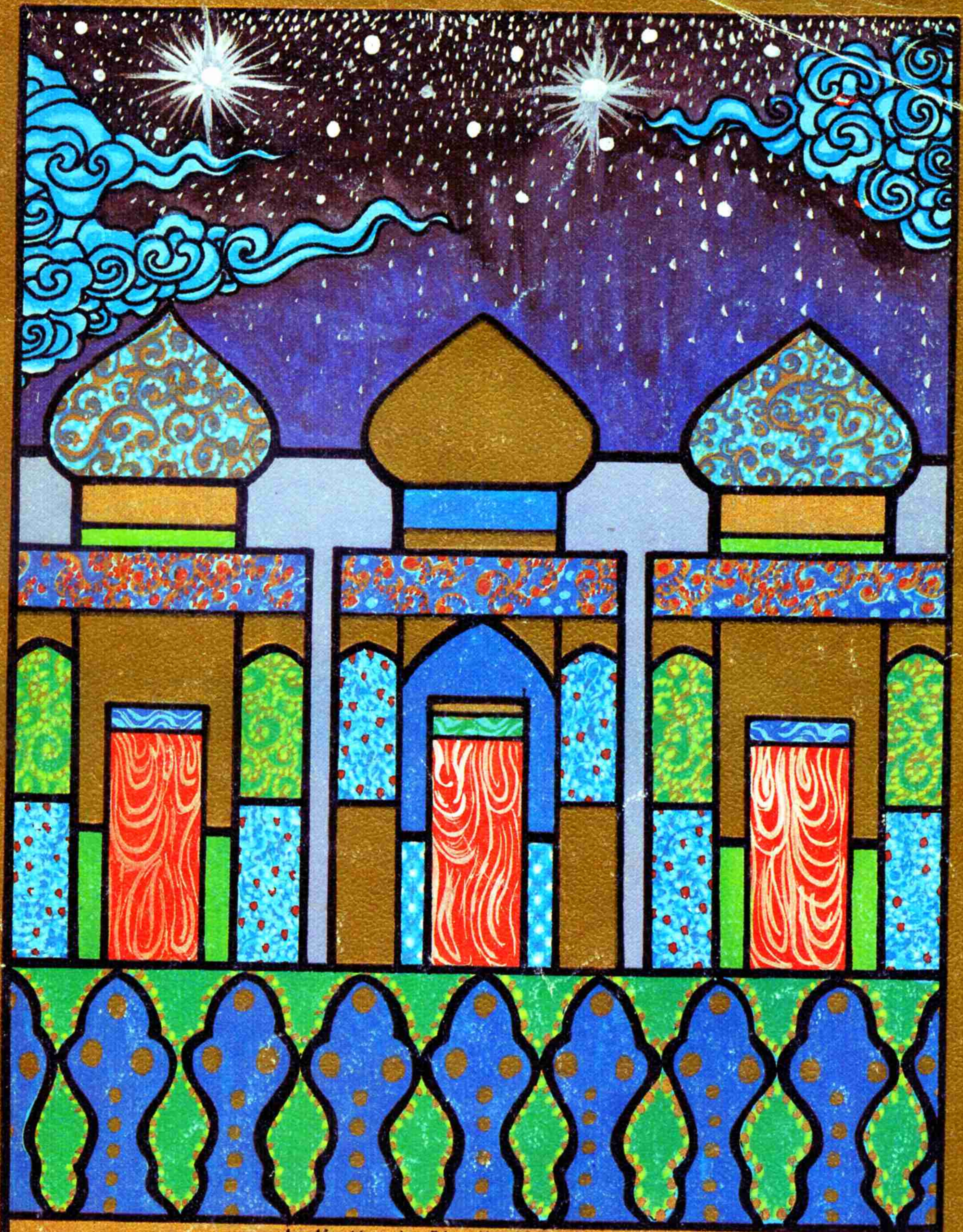

ثمن النسخة داخل العراق (١٥٠) فلسا